

التأويل في مختلف المذاهب والآراء

ا سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين»[68]. هذه الخطبة من جلائل الخطب وأعلاها سنداً، فلا مغمز في صحّة إسناده، إنّما الكلام في فحوى المراد منها. وقد أجمع شرّاح النهج[69] على أنّ المراد بهذا الكلام هي الصفات العليا التي وصف ا بها نفسه، لا يُعرف كنهها ولا جهة اتّصاف الذات المقدّسة بها، كما لا يعرف كنه الذات ولا طريق إلى معرفته، وبالأحرى لا طريق إلى معرفة الصفات. وفي كلامه (عليه السلام) إشارة إلى ذلك، حيث قال: «فما دلّك القرآن من صفته فائتمّ به، وما كلّفك الشيطان علمه ممّا ليس في الكتاب عليك فخره ولا في سنّة النبي (صلى ا عليه وآله) وأئمة الهدى أثره فكَلِّل علمه إلى ا سبحانه، فإنّ ذلك منتهى حقّ ا عليك». ومن ثمّ قالوا: الصفات توقيفيّة، لا يجوز وصفه تعالى بصفة إلّا ما وصف ا به نفسه؛ إذ من وظيفة المؤمن أن يقف عند ذلك ولا يتجاوزه، فقولنا: سميع بصير، حيّ قيّوم، رحمان رحيم، حكيم عليم... إلى آخره، متابعة مع نصّ الوحي من غير أن نتكلّف الولوج في معرفة كنه هذه الصفات المنسوبة إلى ا تعالى، أو الأخذ بالقياس على صفات المخلوقين، إذ ليس كمثله شيء، وإنّما غاية معرفتنا بهذه الصفات هو الأصل القائل: (خذ الغايات و دع المبادئ). إنّّه تعالى يسمع نجواكم، أمّا كيف يسمع؟ فهذا ما لا يمكننا تصوّره، فكيف بتعقّله! اذن فلا مساس لقوله (عليه السلام) لجانب متشابهات الآيات فيما عدا الصفات، والتي لا ينبغي الجهل بها لذوي العلم والفقه في الدين. قال ابن أبي الحديد: «إنّ من الناس من وقف على قوله: (إلّا ا)، ومنهم من